أهمية الحوار وأسس قرآنية في الحوار مع الآخرين

أحمد قشيري سهيل
جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا – إندونيسيا
kusjairi.suhail@uinjkt.c.id

الملخص

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يخلق الناس مختلفين متباينين في الأديان والآراء والاتجاهات والأغراض والأفهام والأفكار ومن هنا تأتي أهمية الحوار، وقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة بالحوار. ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن ضرورة الحوار من وجهات نظر مختلفة مثل النموذج الإنساني، ومن منظور الشريعة، ومن منظور العالم المعاصر. وبصرف النظر عن ذلك، فإن هذا البحث يشرح أيضًا المبادئ الأساسية في القرآن المتعلقة بالحوار مع الآخرين، سواء كانوا مسلمين أو مع أتباع الديانات الأخرى (غير المسلمين). ويرى هذا البحث أن اهتمام القرآن الكريم بالحوار وأنه ضرورة إنسانية وفريضة شرعية وحاجة عصرية وتضمن كتاب الله المجيد على أسس مهمة التي لا بد الالتزام بها في الحوار مع الآخرين، كل ذلك لهو دليل على أن أمة القرآن كانوا على مدى تاريخهم دعاة حوار.

الكلمات المفتاحية: *الحوار؛ أسس قرآنية؛ الآخرون*

Dialogue: Unveiling the Pivotal Role and Its Qur'anic Principles

Ahmad Kusjairi Suhail
UIN Syarif Hidayatullah Jakarta – Indonesia
Kusjairi.suhail@uinjkt.ac.id

Abstract

The wisdom of God, Blessed and Most High, required that people be created with different religions, opinions, trends, purposes, understandings, and ideas, and from here comes the importance of dialogue. The Holy Qur'an has paid great attention to dialogue. This research aims to reveal the urgency of dialogue from various perspectives such as within the humanitarian paradigm, from a sharia perspective, and from a contemporary world perspective. Apart from that, this research also explains the basic principles in the Koran relating to dialogue with other people, whether fellow Muslims or with followers of other religions (non-Muslims. This research argues that the Holy Qur'an's interest in dialogue, that it is a humanitarian necessity, a legal obligation, and a modern need, and that the glorious Book of God includes important foundations that must be adhered to in dialogue with others, all of this is evidence that the nation of the Qur'an have been advocates of dialogue throughout their history.

Key Word: *Dialogue; Qur'anic Principles; Others.*

المقدمة

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يخلق الناس مختلفين متباينين في الأديان والآراء والاتجاهات والأغراض والأفهام والأفكار، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾.[1]

يقول الإمام الطبري، "يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس كلهم جماعة واحدة، على ملة واحدة، ودين واحد ... فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء: ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتّى، من بين يهوديّ ونصرانيّ ومجوسي ونحو ذلك"[2].

يقول الفخر الرازي، "والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال"، فالله سبحانه وتعالى قد خلق الناس بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا ملهمين، وعاملين بالاختيار وترجيح بعض الممكنات المتعارضات على بعض، لا مجبورين ولا مضطرين، وجعلهم متفاوتين في الاستعداد وكسب العلم واختلاف الاختيار"[3]إهـ. ومن هنا تأتي أهمية الحوار، وقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة بالحوار.

الحوار ضرورة إنسانية

إن الحوار ضرورة إنسانية، ويتحقق ذلك فيما يلي:

١- الحوار صيغة من صيغ التواصل والتفاهم

فالحوار صيغة من التواصل والتفاهم لأن الله تعالى خلق الناس متنوعي الشعوب والعادات واللغات والقبائل للتعارف والتعايش الذي لا يمكن تحققه إلاّ بالتواصل والتفاهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4]، فالله جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا لا ليتناكروا ويتحالفوا، لا ليتفاخروا بالأنساب.

---

[1] سورة هود الآية ١١٨ - ١١٩

[2] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن ج ٧ ص ١٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٢ م.

[3] الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، مفاتيح الغيب، ج ١٨ ص ٤١٠، درا لفكر، بيروت، ط الأولى، ١٩٨١ م.

[4] سورة الحجرات الآية ١٣

يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، "تأديب آخر من واجب بثّ التعارف والتواصل بين القبائل والأمم وأن ذلك مراد الله منهم" [٥]، ولا يتحقق التواصل مع الآخرين والتفاهم بينهم إلاّ بالحوار، ولهذا يصبح الحوار لازما من لوازم الحياة الإنسانية المستقرة، فهو نمط حياة وأسلوب تفكير، بل إن الله تعالى جعل التواصل والودّ هو أصل العلاقة بين المسلمين والآخرين، فقال تعالى: ﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدّينِ وَأَخْرَجُوكُم مّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٦] أي لا يمنعكم الله تعالى من البرّ والإحسان وفعل الخير إلى الكفّار الذين سالموكم ولم يقاتلوكم في الدّين كالنساء والضعفة منهم كصلة الرحم ونفع الجار والضيافة ولم يخرجوكم من دياركم، ولا يمنعكم أيضاً أن تقوموا بالعدل فيما بينكم وبينهم بأداء ما لهم من الحق كالوفاء لهم بالوعد وأداء الأمانة وإيفاء أثمان المشتريات كاملة غير منقوصة، إن الله يحب المقسطين ويرضى عنهم ويمقت الظالمين ويعاقبهم ويغضب عليهم[٧].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٨] يقول الإمام ابن كثير, "أي مالوا للمسالمة والمصالحة والمهادنة فمَلْ إليها واقبل منهم ذلك، ولهذا لما طلب المشركون، عام الحديبية، الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله وسلم تسع سنين[٩]، أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر"[١٠]، وإنما لم يقُل: وإن طلبوا السلم فأجِبْهم إليهم،للتنبيه على أنه لا يسعفهم إلى السلم حتى يعلم أن حالهم حال الراغب، لأنهم قد يظهرون الميل إلى السلم كيداً، فهذا مقابل قوله -تعالى-:

[٥] ابن عاشور، محمد الطاّهر، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ج ٢٢ ص ٢١٨، مؤسسة التاريخ، لبنان، ط الأولى، ٢٠٠٠ م.

[٦] سورة الممتحنة الآية ٨

[٧] انظر:الزحيلي، الدكتور وهبة، التفسير المنير، ج ٢٨ ص ١٣٥ بتصرف، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط الأولى، ١٩٩١ م.

[٨] سورة الأنفال الآية ٦١

[٩] انظر قصتها كاملةً: المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ص ٣٤٦ – ٣٥٦، وجاء فيه من بنود صلح الحديبية في ص ٣٥١، "وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض"، دار الوفاء، مصر، ط الثانية، ٢٠٠٠ م.

[١٠] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢ ص ٤٢٦

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[11] ، فإن نبذ العهد نبذ لحال السلم[12]، وذلك لإن الله تبارك وتعالى جعل التواصل والودّ هو أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

٢- الحوار أسلوب من أساليب العلم والمعرفة

مثال ذلك الحوار الذي حصل بين نبي الله موسى عليه السلام وعبد من عباد الله تعالى الذي ذكر كثير من المفسرين أنه الخضر عليه السلام[13]، وهو في قوله تعالى، ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ... إلى قوله سبحنه، وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[14]. لا حظنا مما سبق أن موسى عليه السلام تتلمذ على يديه الخضر عليه السلام وتلقى علوماً ومعارف عدة من الخضر عليه، ومن هنا عرفنا أن الحوار هو أسلوب شيّق من أساليب العلم والمعرفة.

٣- الحوار وسيلة من وسائل التبليغ والدعوة

استُخدم الحوار كوسيلة نافعة من وسائل التبليغ والدعوة، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، وأذكر بعضا منها هنا على سبيل المثال لا الحصر:

الحوار الذي جرى بين إبراهيم عليه السلام وأبيه، وعنه قال الله جل شأنه،﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحمنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرحمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا

[11] سورة الأنفال الآية ٥٨

[12] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٩ ص ١٤٧

[13] منهم الإمام الألوسي في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٥ ص ٤٦٠، دار فكر، بيروت، ط ١٩٩٤ م)، وشيخ المفسرين الإمام الطبري في تفسيره (ج ٨ ص ٢٥١)، والإمام أبو حيان الأندلسي، ويقول، "والجمهور على أنه الخضر، وخالف من لا يعتدّ بعلمه" (تفسير البحر المحيط: ج ٦ ص ١٣٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٣ م)، والإمام ابن كثير قائلاً، "وهذا هو الخضر عليه السلام، كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (تفسير ابن كثير: ج٣ ص ٣١٧، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٩٩٩ م).

[14] سورة الكهف الآيات ٦٤ - ٨٢

إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[١٥].

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى عن حوار نوح عليه السلام مع قومه عندما عرض لهم التبليغ والدعوة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ،قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ولكنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٦].

ومثاله أيضًا الحوار الذي جرى بين نوح عليه السلام وابنه، وفيه قال الله جلّ وعلا، ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ، قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[١٧].

٤- الحوار هو الأداة التي استخدمها الأنبياء والدّعاة والمصلحون في إقناع الناس بالحق، ودعوتهم إلى الخير

وأبرز مثال هذا، هو الحوار الذي جرى بين نبيّنا إبراهيم عليه السلام والنمرود الذي هو ملك ظالم يزعم أنه الربّ وأنه يحيي ويميت، فقال سبحانه، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٨] ، ففي هذا المشهد الحواري يتضح لنا كيف أنّ نبيّنا إبراهيم عليه السلام لم يقف عند قول هذا الملك الظالم: أنا أحيي وأميت. مع أنه لا يفعل ذلك حقيقة، بل انتقل بالحوار إلى حجة أقوى لن يستطيع معها المحاور مجاراته؛ ولذلك قال جلّ شأنه عنه بعد إقامة الحجة عليه، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، فاستخدم إبراهيم عليه السلام الحوار في إقناع نمرود بالحقّ والبرهان القاطع.

[١٥] سورةمريم الآيات ٤١ - ٤٨

[١٦] سورةالأعراف الآيات ٥٩- ٦٢

[١٧] سورة هود الآيات ٤٢، ٤٣

[١٨] سورة البقرة الآية ٢٥٨.

كما استخدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحوار في بيان شمولية رسالته وغرس العقيدة، فقال عنه تعالى،﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٩]، وكذلك استخدمه الدعاة المصلحون في دعوتهم إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيه قال تعالى،﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٢٠]، يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية، "يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق: (١) فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت .. (٢) وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم (٣) وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ أي لِم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكم إياّه، قالت لهم المنكرة ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ .. أي نفعل ذلك ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقولون: ولعل لهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركون ويرجعون إلى الله فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم"[٢١].

الحوار فريضة شرعية

لو تصفحنا صفحات المصحف الشريف، لوجدنا كثيراً من الحوارات في القرآن الكريم، كحوارات الله عز وجل مع الملائكة في خلق الإنسان وحوارات الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ومحاورة أهل الكتاب والحوار مع المشركين، ففي السنة النبوية نجد أيضاً كثيراً من الحوارات، كحوارات النبي صلى الله مع المشركين والمنافقين والحوار في بيعة العقبة الثانية والحوار في غار ثور والحوار في كثير من الأمور التي يحتاجها المجتمع وحوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجاتهم والأطفال، كل ذلك لهو دليلٌ على أن الحوار فريضة شرعية.

وأجدر من ذلك أن القرآن الكريم يدعو إلى الحوار، وجاءت هذه الدعوة في سياقات عديدة. ومن النصوص الصريحة الداعية إلى التمسك بالحوار وسيلة للتواصل والتفاهم قوله عزّ وجلّ، ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

[١٩] سورة الأعراف الآية ١٥٨
[٢٠] سورة الأعراف الآية ١٦٤
[٢١] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢ ص ٣٦٩

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢٢] ، يقول الإمام ابن كثير[٢٣]، "يقول تعالى آمراً رسولَه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة. قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسُّنة: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذَكِّرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى، وقوله: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[٢٤] ، فأمَره تعالى بلين الجانب كما أمَر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [٢٥].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ الآية، أي: قد علم الشقيَّ منهم والسعيد، وكتب ذلك عنده وفرغ منه، فادعُهم إلى الله ولا تذهبْ نفسُك على مَن ضلّ منهم حسرات؛ فإنه ليس عليك هداهم، إنما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [٢٦] ، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[٢٧] .

ومن هنا عرفنا أن الحوار في الإسلام يعتبر مبدءًا أساسياً من مبادئ الدعوة إلى الله عز وجل، فالقرآن الكريم يعتبر الحوار بالتي هي أحسن أسلوبا حقا يتعامل به المسلم مع كل من يخالفه الرأي والاعتقاد، أيًّا كانت درجة الاختلاف والتباين، فهو فريضة شرعية وواجب ديني لأهداف نابلة، منها:

- إقامة الحجة
- دفْع الفاسد من القول والرأي
- معرفة الحقيقة والتوصُّل إليها
- تحقيق الغاية العظمى وهي الوصول إلى الحق[٢٨].

[٢٢] سورة النحل الآية ١٢٥
[٢٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣ ص ٢٣٢
[٢٤] سورة العنكبوت الآية ٤٦
[٢٥] سورة طه الآية ٤٤
[٢٦] سورة القصص ٥٦
[٢٧] سورة البقرةالآية ٢٧٢
[٢٨] أخذنا بتصرف من: https://www.wasatyea.net/ar/content

قال الإمام القرطبي رحمه الله: لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل، وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب وباهَلَهُم بعد الحجة، وتجادل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السَّقِيفَة وتدافعوا وتقرّروا وتناظروا حتى صدر الحق في أهله، وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر -رضي الله عنه- في أهل الردّة، إلى غير ذلك مما يكثر إيراده"[٢٩].

- تنويع الرُّؤى وتوسيع الأفق لتعزيز مفهوم التسامح، واحترام التنوّعية والتعاون، وزيادة تبادل المعرفة حول مختلف مجالات الأنشطة البشرية، لأننا نعيش في عالم واحد لكنه يشتمل على آلاف ثقافة وعادة[٣٠].

الحوار حاجة عصرية

فهو حاجة عصرية تؤكد أن الناس في حاجة ماسة إلى الحوار لتأسيس صيغة معرفية متجددة تعتمد تزاوج الأفكار وتبادل الآراء من خلال سماع الرأي الآخر تحقيقاً للتعارف والتواصل العلمي، وابتعاداً عن العزلة الذي لم يبق له مكان في عصرنا الحاضر، فالله تعالى خلق الناس شعوباً وقبائل بهدف التعارف لا التناكر، وتبادل الأفكار لا التنافر، قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٣١]، ولا يتحقق التواصل مع الآخرين والتفاهم بينهم إلاّ بالحوار، وخاصة يواجه المسلمون اليوم نظرة عنصرية في الشعوب الأخرى وهو ما يُشتهر ب(الإسلاموفوبيا).

أسس قرآنية في الحوار مع الآخرين

١. الاعتراف بالآخرين

لأن الله تعالى خلق الناس مختلفين هو ناتج لما خلقوا منه بالأساس، ثم أن من المعلوم في الدين بالضرورة أن أول من خلقه الله سبحانه هو آدم عليه السلام، وأنه عز وجل حين جمع التراب الذي خلق منه آدم عليهه السلام، جمعه من كل تراب الأرض، قال تعالى، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

[٢٩] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣ ص ١٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٨ م.

[٣٠] أخذنا بتصرف من: https://www.wasatyea.net/ar/content

[٣١] سورة الحجرات الآية ١٣

وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [٣٢]، فالاعتراف بالآخر حق مكفول له باعتبار الوجود، وهو في الوقت نفسه يتيح فرصة اكتشاف إيجابياته والوقوف على سلبياته، ويفرض عليه أن يعترف بوجودنا، ويساعدنا على اكتشاف إيجابياتنا لتنميتها والوقوف علي سلبياتنا لعلاجها. وبهذا المعنى يكون الحوار اكتشافا للآخر داخل الذات، واكتشافا للذات في نظر الآخر، وعدم الاعتراف بالآخرين يخالف سنة الله.

وكل ألوان الحوار في القرآن الكريم تمثل مظهرا من مظاهر الاعتراف بالآخر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ ياأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣٣]. والرسول صلى الله عليه وسلم اعترف بالآخر؛ وكاتبه وراسله وعرض عليه الإسلام[٣٤]، وطلب من أصحابه رضي الله عنهم أن يتعلموا لغته، وكان ينتقي السفارات المؤهلة للقيام بمهمة التواصل معه، بل لقد توصل بالتفاوض والحوار إلى معاهدات، منها المعاهدة التي أبرمت مع يهود المدينة بطوائفهم جميعاً عند مقدمه صلى الله عليه وسلم إليها[٣٥]، ومعاهدة الحديبية التي أبرمها مع مشركي قريش في العام السادس للهجرة[٣٦]، ومثل هذه المعاهدات تحمل في طيها اعترافا بالآخر.

٢. الاعتراف بأن الاختلاف بين البشر سنة الله وحقيقة فطرية

فقال الله عز وجل، ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٣٧]، وقد سبق الحديث عن شرح هذه الآية فيما سبق فلا داعي إعادته هنا.

فقال تعالى، ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [٣٨]، أي ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم

[٣٢] سورة النساء الآية ١
[٣٣] سورة آل عمران الآية ٦٤
[٣٤] انظر عرض النبي صلى الله عليه وسلم على القبائل والأفراد في كتاب الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ص ١٥٣-١٥٩، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط الثانية، ٢٠٠٠ م.
[٣٥] المرجع نفسه ص ٢١٢-٢١٣
[٣٦] المرجع نفسه ص ٣٤٦ وما بعدها
[٣٧] سورة الحجرات الآية ١٣
[٣٨] سورة هود الآية ١١٨ - ١١٩

جماعة واحدة على دين واحد و هو دين الإسلام، كما قال سبحانه، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[٣٩]، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، فلا يزال الناس مختلفين في أديانهم، و ذلك مقتضى حكمته.

يقول صاحب كتاب "في ظلال القرآن"، "لو شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته، وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه، وأن يختار هو طريقه، ويحمل تبعة الاختيار، ويجازى على اختياره للهدى والضلال .. هكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته. فالذي يختار الهدى كالذي يختار الضلال سواء في أنه تصرف حسب سنة الله في خلقه، ووفق مشيئته في أن يكون لهذا المخلوق أن يختار، وأن يلقى جزاء منهجه الذي اختار.

شاء الله ألّا يكون الناس أمةً واحدةً، فكان من مقتضى هذا أن يكونوا مختلفين، وأن يبلغ هذا الاختلاف أن يكون في أصول العقيدة – إلا الذين أدركتهم رحمة الله – الذين اهتدوا إلى الحق – والحق لا يتعدّد – فاتفقوا عليه، وهذا لا ينفي أنهم مختلفون مع أهل الضلال.

ومن المقابل الذي ذكره النص، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ .. يُفهم أن الذين التقوا على الحق وأدركتهم رحمة الله لهم مصير آخر هو الجنة تمتلئ بهم كما تمتلئ جهنم بالضالّين المختلفين مع أهل الحق، والمختلفين فيما بينهم على صنوف الباطل ومناهجه الكثيرة!"[٤٠].

٣. لا حدود للحوار مع الآخرين

إن الحوار مع الآخرين ليس له حدود، لا من ناحية الأشخاص التي يمكن أن نفتح لهم أبواب الحوار، ولا من ناحية التوقيت، ولا من ناحية موضوع الحوار، لذلك رأينا القرآن الكريم طرح مسائل العقيدة كوجود الله تعالى وتوحيده على طاولة الحوار، ونفى بهذا الطرح أن يكون هناك موضوع آخر خارج دائرة الحوار،

وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن المجيد، منها على سبيل المثال لا الحصر: قال عزّ وجلّ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[٤١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ

[٣٩] سورة يونس الآية ٩٩

[٤٠] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤ ص ١٩٣٣، دار الشروق، بيروت، ط الثانية عشرة، ١٩٨٦ م.

[٤١] سورة الطور الآية ٣٥ - ٣٦

قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ. أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ. أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٤٢].

كما طرح القرآن العظيم مسألة الحوار في النبي صلى الله عليه وسلم، وهل هو نبي يوحى إليه حقا أو مجرد إنسان عادي؟ وهل هو كاهن أم ساحر أم مجنون؟ فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٤٣]، وقال تعالى نقلاً عن المشركين: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[44] ، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾[٤٥]، والمبرّر لهم بوصفه بالجنون ومؤاخذتهم له، وقوفه لوحده في وجه الرأي العام المتمثل في الشّرك، بأنه مجنون لا يعرف قدر نفسه ومكانته وسوف يهدر دمه لا محالة، وقال عز وجل: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لا تُبْصِرُونَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ. وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[٤٦].

لا حظنا مما سبق أن القرآن الكريم عدّ الحوار مع الآخر قاعدته الأساسية في الدعوة إلى كل قضاياه، وعلى رأسها القضية الكبرى قضية العقيدة والإيمان.

ومن الدروس المفيدة التي استفدناها في من حوارات القرآن أنه لا يحق لأحد أن يبتعد عن حوار الآخرين، لأن القرآن لم يناً بأية قضية مهما كانت قدسيتها عن دائرة الحوار، فقد تحاور رب العالمين مع الشيطان الرجيم كما تحاور مع الملائكة المقربين، كما أنَّ دعوات الأنبياء والرسل عليهم السلام كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم.

---

[٤٢] سورة النمل الآيات ٥٩ - ٦٤

[٤٣] سورة سبأ الآية ٤٦

[44] سورة الحجر الآية ٦

[٤٥] سورة الطور الآية ٢٩

[٤٦] سورة الحاقة الآيات ٣٨ - ٤٧

وقد أطال كتاب الله المجيد في عرض صور كثيرة من هذه الحوارات، ومنها الحوار الذي دار بين موسى وفرعون، والحوار الذي دار بين إبراهيم والملك الذي حاجّه في ربه.

ومن هنا استنكر القرآن الكريم موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته، قال عزّ جلّ: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [٤٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٤٨].

لا حظنا مما سبق أن الإسلام يفتح أبواب الحوار في كل وقت وحين، فلا حدود للحوار من ناحية التوقيت.

٤. تحقق المعرفة بالآخرين

من أسس قرآنية في الحوار مع الآخرين تحقق المعرفة بواقع الآخرين وبخلفيتهم الفكرية والتاريخية؛ لأن واقعهم هو الذي يدركنا بمشكلاتهم، وخلفيتهم الفكرية هي التي تعرفنا على كيفية التعامل معهم، وتاريخهم يوضّح لنا مدى تمكن هذه الخلفية من سلوكهم واستجاباتهم. والمعرفة بالآخرين تؤدّي ابتداءً إلى تحديد مَن هُم فعلاً.

من هنا أدركنا آيات كثيرة في القرآن الكريم تفيد أن الله تعالى كان يعرف رُسُلَه عليهم السلام على شخصية الآخر الذي سيحاورونه وخلفيته الفكرية ومواقفه تجاه دعوتهم، فقد قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن خلفية موقف مشركي قريش منه ومن دعوته: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[٤٩]، وقال جلّ شأنه: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾[٥٠]، كما قال له صلى الله عليه وسلم عن أهل الكتاب: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ.

[٤٧] سورة فصلت الآية ٥
[٤٨] سورة لقمان الآية ٦
[٤٩] سورة الأنعانم الآية ٣٣
[٥٠] سورة الأنعام الآية ١١١

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥١]، وبيّن سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام عن فرعون قائلاً: ﴿ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٥٢].

ولهذا كان من االأسس والقواعد المهمّة في الحوار مع الآخرين، أن ننطلق في الحوار مع الآخرين من خلال معرفتنا بهم، وليس من خلال ما نريد ونتمنى أن يكونوا عليه.

٥. اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية

لا يكتمل الحوار إلا باعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية لأنهما من أسس قرآنية في الحوار مع الآخرين.

ويتحقق هذا الأساس في توفر الحرية الفكرية، والإحاطة بقضية الحوار، وتحديد الغاية وتوضيحها، والالتزام بقاعدة إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدّعياً فالدليل، وتجنب الوقوع في التناقض، وتحديد المصطلحات.

وأكتفي الحديث هنا - تجنباً للإطالة - عن توفر الحرية الفكرية على سبيل المثال فقط لا الحصر، فمثلاً عندما أمر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الرسالة إلى قومه عن طريق الحوار دون أن يشعروا بتميّزه عنهم أو إملاء أفكاره عليهم، بل أكّد سبحانه على أنه صلى الله عليه وسلم بشر يتلقى الوحي باعتباره رسول الله العظيم، فقال عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾[٥٣]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥٤] ، وقال سبحانه أيضاً: ﴿ قُلْ ياأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنُ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾[٥٥] .

[٥١] سورة البقرة الآية ١٤٥ - ١٤٦
[٥٢] سورة طه الآية ٤٣ - ٤٤
[٥٣] سورة الكهف الآية ١١٠
[٥٤] سورة الأعراف الآية ١٨٨
[٥٥] سورة يونس الآية ١٠٨

٦. التزام آداب الحوار

وأصل هذا الأسس يتحقق في تفريق القرآن الكريم في التعبير بين المطلوب في الموعظة، والمطلوب في الجدال عند الدعوة إلى الله تعالى، ففي الموعظة اكتفى بأن تكون حسنة، بينما في الجدال لابد أن يكون بالتي هي أحسن، قال الله عز وجل: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٥٦]. وهذه الطريقة تتضمن آدابا يمكن إجمالها فيما يأتي : نبذ التعصب للأفكار المسبقة، وعفة اللسان، وتهيئة النفس لقبول نتائج الحوار، ورأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية[٥٧].

ونأخذ مثالاً واحداً من هذه الآداب، هو نبذ التعصب للأفكار المسبقة، وذ لك كما في قول الله تعالى﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[٥٨]، فيها توجيه سبحانه لرسوله إلى افتراض أنه لا يعلم أي الفريقين على الهدى، فريقه أم الفريق المقابل له ؟ مع أن الله تعالى يقرر في غير مواطن الحوار أن الحق كله والهدى جميعه مع رسوله وحده ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [٥٩].

الخاتمة

وبعد هذه الجولة القصيرة، عرفنا اهتمام القرآن الكريم بالحوار وأنه ضرورة إنسانية وفريضة شرعية وحاجة عصرية وتضمن كتاب الله المجيد على أسس مهمة التي لا بد الالتزام بها في الحوار مع الآخرين، كل ذلك لهو دليل على أن أمة القرآن كانوا على مدى تاريخهم دعاة حوار، يحرصون على التعايش مع أصحاب الثقافات المختلفة في أخوة إنسانية بعيدة عن روح التعصب أو فرض الهيمنة.

---

[٥٦] سورة النحل الآية ١٢٥

[٥٧] أخذنا بتصرف من: https://www.wasatyea.net/ar/content و انظر: https://alhiwartoday.net/node/302

[٥٨] سورة القصص الآية ٨٥

[٥٩] سورة النمل الآية ٧٩

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط. دار الكتب العلمية. بيروت. ط الأولى. ١٩٩٣ م.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار فكر. بيروت. ط ١٩٩٤ م.

الزحيلي، الدكتور وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دار الفكر المعاصر. لبنان. ط الأولى. ١٩٩١ م.

سيد قطب. في ظلال القرآن. دار الشروق. بيروت. ط الثانية عشرة. ١٩٨٦ م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن . دار الكتب العلمية. بيروت. ط الأولى. ١٩٩٢ م.

ابن عاشور، محمد الطاّهر. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور. مؤسسة التاريخ. لبنان. ط الأولى. ٢٠٠٠ م.

الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري. مفاتيح الغيب. درا لفكر. بيروت. ط الأولى. ١٩٨١ م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب العلمية. بيروت. ط الأولى. ١٩٨٨ م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي.تفسير القرآن العظيم المسمّى بتفسير ابن كثير. مكتبة الرشد. الرياض. ط الأولى. ١٩٩٩ م.

المباركفوري، صفي الرحمن. الرحيق المختوم. دار الوفاء. مصر. ط الثانية. ٢٠٠٠ م.

https://alhiwartoday.net/node/302

https://www.wasatyea.net/ar/content